الأذى والسِّحرِ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعينَ، اللهمَّ آمين.

- اللَّهُمَّ إنّا نَعوذُ بِكَ مِن أسْحارِهِم وعُقَدِهِمْ وَرَبْطِهِمْ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بَأْسَكَ الشَّديدَ الَّذي لا يُرَدُ ولا يُصَدُّ، ولا يَقدَرُ عَلى دَفْعِهِ أحَدٌ، اللَّهُمَّ أهْلِكْ أقْواهُمْ، اللَّهُمَّ أهْلِكْ أعْتاهُمْ، اللَّهُمَّ أهْلِكْ أمْكَرَهُم وأكْبَرَهُمْ.
- اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بوجهِكَ الكريمِ، وَكَلماتِكَ التَّامَّةِ، مِن شرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ، اللَّهُمَّ أنتَ تَكْشِفُ المَغرمَ والمأثَمَ، اللَّهُمَّ لا يُهْزَمُ جُندُكَ، ولا يُخْلَفُ وعدُكَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ سُبحانَكَ وبحمدِكَ.
- اللَّهُمَّ أنتَ أكْبَرُ كَبيرًا، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَثيرًا، اللَّهُمَّ إنّا نُسَبِّحُكَ بُكْرَةً وأصيلًا، اللَّهُمَّ أنْتَ العالِمُ بِكُلِّ حالٍ، اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ ومُجْري السَّحابِ، وهازِمَ الأحْزابِ شَديدَ العِقابِ سَريعَ الحِسابِ، اللَّهُمَّ أحْصِ السَّحرَةَ وأعوانَهُم عَدَدًا، وصَلّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمْ.

الآيات من 104 - 105

النّداء الأوّل للمؤمنين في القرآن الكريم "يا أيّها الذين آمنوا"

أهمّيّة المصطلحات والشّعارات والرّموز

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٠٤): عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: كان المسلمون يقولون للنّبيّ ﷺ: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا قبيحًا فيما بينهم، فلمّا سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربنّ عنقه. فقالت اليهود: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ الآية، ونهوا عن ذلك [1].

سبب نزول الآية (١٠٥): قال المفسّرون: كان المسلمون إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمّد ﷺ، قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير ممّا نحن عليه، ولوددنا لو كان خيرًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية تكذيبًا لهم.

المعنى العام

روى ابن أبي حاتم في تفسيره، أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَعْهِدْ إِلَيَّ فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُهُ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ.[2]

(١) ذكره الواحديّ في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: سورة البقرة، (١٨٦/١).
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن عبد الله بن مسعود، (١/ ١٩٦).

أوّل نداء للمؤمنين في القرآن الكريم، بعد أوّل نداء للنّاس كافّة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1]... ولبني إسرائيل خاصّة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾[2]، فما هو الأمر الخاصّ الذي اختصّ به تعالى المؤمنين؟ هل كان صلّوا ؟ صوموا؟ أكثروا من قراءة القرآن؟ أوّل نداء للمؤمنين في سورة البقرة كان نهيًا، نهاهم عن قول "راعنا": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فما الحكمة من ابتدائه بهذا النّهي، ولِمَ لَمْ يكن أمرًا آخر؟

اعلم أنّ الله تعالى ينادي المؤمنين بالصّفة التي تميّزهم، والتي تربطهم بربّهم، ونبيّهم، والتي تجيّش في نفوسهم الاستجابة والتّلبية، وبهذه الصفة ينهاهم، يا من أنتم منتسبون الى الله تعالى ورسوله لا تقلّدوا غيركم ولا تتّبعوهم، واتّبعوا نبيّكم يُحببكم الله،﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[3] فإن اتّبعتم اليهود يبغضكم الله، فأنتم مميّزون ولكم دينكم وشعاركم وللكافرين دينهم وشعارهم،﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[4].

نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبّهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وقال رسول الله ﷺ: «مَن تَشَبَّه بقومٍ فَهُوَ مِنْهُم»[5]؛ ذلك أنّ اليهود كانوا يعلنون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التّنقيص، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا، يقولون: راعنا ويورّون بالرّعونة (أي يقصدون بها سبّة) كما قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6] وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنّهم كانوا إذا سلّموا إنّما يقولون (السّام عليكم) و(السّام)[7]هو الموت، ولهذا أمرنا أن نردّ عليهم بـ﴿وَعَلَيْكُمْ﴾، وإنّهُ يُسْتَجَابُ لَنَا فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا.

فقد ورد في الصّحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[8]. زاد في رواية مسلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّه ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «... بَلَى، قَدْ سَمِعْتُ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّا نُجَابُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُجَابُونَ عَلَيْنَا»[9].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ فَغَضِبَ وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[10]. فإذا كان موسى عليه السلام كليم الله سيدع التّوراة ويتّبع النّبيّ ﷺ، فكيف تتابع أيّها العبد المسلم اليهود الذين حرّفوا التّوراة وقتلوا الأنبياء وباؤوا بغضب من الله تعالى.

يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا﴾ للرّسول ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ أي انتظرنا أو أمهلنا لأنّ في ذلك ذريعة لسبّ اليهود أو قلّة أدبهم، ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ أي انتظرنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ للرّسول ﷺ ما يقول سماع قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ المؤذين لرسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وموجع.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١. (٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠. (٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١. (٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٥) رواه أبو داود في سننه، عن ابن عمر، كتاب: اللباس، باب: في لبس الشهرة، حديث رقم: ٤٠٣١.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٧) (السام) فيها وجهان كلاهما بفتح السين، أحدهما: بألف ممدودة، بعدها، وهو: الموت، وثانيهما: بهمزة بعد السين أي: (السأم) وهو من السآمة، أي أن تسأموا دينكم.

(٨) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عائشة، كتاب: الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السّلام، حديث رقم: ٦٢٥٦.

(٩) رواه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث رقم: ٢١٦٦.

(١٠) رواه أحمد في مسنده، عن جابر بن عبد الله، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند، جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: ١٥١٥٦، الحديث صحيح لغيره.

كان رسول الله ﷺ إذا أدبر ناداه من كانت له حاجة من المؤمنين فقالوا: أرْعِنا سمعَك، فأعظم الله رسوله ﷺ أن يقال ذلك له، والأرعن: الأحمق[1].

وقال السّديّ: كان رجل من اليهود من بني قينقاع يدعى رفاعة بن زيد يأتي النّبيّ ﷺ فإذا لقيه فكلّمه قال: أرعني سمعك واسمع غير مُسْمَع، وكان المسلمون يحسبون أنّ الأنبياء كانت تُفخّم بهذا فكان ناس منهم يقولون: "اسمع غير مسمع" كقولك اسمع غير صاغر، وهي كالتي في (سورة النساء) [2] فنهاهم تعالى، فقال: ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [3].

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ما يتمنى الذين كفروا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ وتحديدًا اليهود، ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إنزال الخير عليكم من ربكم حسدًا منهم، بل يتمنّون أن تبقوا على ضلالتكم وذلّكم، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ كالنّبوّة والولاية، ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من عباده. فلا يجب عليه شيء ولا يمتنع عليه ممكن، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فَيَمُنُّ على من يشاء فضلًا وإحسانًا.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. النّهي الشّديد والتّهديد والوعيد على التّشبه بالكفّار في أقوالهم وأفعالهم وشعاراتهم القوليّة والصّورية ورموزهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرّع لنا، ولا نقرّ عليها.

٢. وجوب التأدّب مع رسول الله ﷺ في مخاطبته، وعدم استعمال أي لفظة قد تفهم على غير الإجلال والإكبار له ﷺ.

٣. وجوب السّماع لرسول الله ﷺ بامتثال أمره واجتناب نهيه، والاقتداء به وبالخلفاء الرّاشدين وبالصّحابة من الأنصار والمهاجرين، ومن تبعهم إلى يوم الدّين.

٤. قصودُ الأعداء في جميع أحوالهم - من أعمالهم وأقوالهم - قصودٌ خبيثة؛ فهم - على مناهجهم من حبّ الدّنيا والأنا والهوى وإيثار الحياة الدّنيا على الآخرة - يبنون فيما يأتون ويَذَرُون. فسبيلُ المؤمنين التَّحرّزُ عن مشابهتهم، والأخذ في طريق غير طريقهم سواء في المناهج التّعليميّة أو في حلول المشاكل الأسريّة أو حلول المشاكل النّفسيّة والتّربويّة وغيرها.

٥. التّحذير من اليهود وعلمائهم لأنّهم أعداء حسدة للمؤمنين، فلا يحلّ الرّكون إليهم والاطمئنان إلى أقوالهم وأفعالهم، بل الريبة فيها.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي صخر، (١٩٧/١).

(٢) هي قوله تعالى: ﴿ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ الآية ٤٦ منها، وتقدم نصها آنفًا في أول تفسير هاتين الآيتين وسيأتي تفسيرها في موضعه إن شاء الله تعالى.

(٣) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن السّدي، (٤٦٢/٢- ٤٦٣).

٦. الانتباه من المصطلحات والشّعارات اللفظيّة والصّوريّة التي يطلقها اليهود وأعوانهم وعدم تقليدها، لأنّ ظاهرها قد يفيد معنى، وباطنها له معنى آخر فهم يكيدون للمسلمين ويبطنون لهم الشّر ، وهذا ليس سوء ظنّ، بل حقيقة قرآنيّة.

٧. داء الحسد هو الذي جعل اليهود ينكرون نبوّة سيّدنا محمّد ﷺ، ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَلَا المشركين أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ واللهُ يَخْتَصُّ برحمته مَن يشاء﴾[1].

لقد رأينا الآيات الكثيرة السّابقة تفضح اليهود وتكشف نواياهم بوضوح، فعندما وقّعوا التّطبيع مع مصر طلبوا من مصر عدم تلاوة هذه الآيات على أجهزة الرّاديو والتّليفزيون. لأنّها آيات واضحات لا يمكن لمن يسمعها ويفهم معناها، أن يركن إليهم أو يواليهم مطلقًا.

في الأمر والنّهي

في الأخلاق والآداب

لمّا كان الأدب سلوكًا يتعلّق بأعمال الإنسان، والأعمال إمّا قلبية أو فعليّة أو قوليّة؛ كان الأدب مع النّبيّ ﷺ كذلك أدب قلبيّ، وفعليّ، وقوليّ.

- أدب قلبيّ: يتعلّق بتصديقه، والإيمان به ﷺ، وحبّه، وتعظيمه، وتوقيره.
- وأدب فعليّ: يتعلّق بحسن اتّباعه ﷺ فيما أمر ونهى، مع اتّخاذه ﷺ قدوة وأسوة.
- وأدب قوليّ: يتعلّق بالصّلاة عليه ﷺ، والذّبّ عن سنّته، ورعاية الأدب معه بالقول.

ومن الأدب القلبيّ معه ﷺ اعتقاد تفضيله ﷺ على كلّ أحد من الخلق، فهو كما وصف نفسه ﷺ متحدّثًا بنعمة ربّه، قال ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[2].

ومّما ينتج عن اعتقاد تفضيله استشعارُ هيبته ﷺ وجلالةِ قدره وعظيم شأنه، واستحضارُ محاسنه ومكانته ومنزلته، وكلّ ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقّه من التّوقير والتّعزيز، فالقلب ملِك الأعضاء، فمتى ما كان تعظيم النّبيّ ﷺ مستقرًا في القلب، فإنّ آثار ذلك ستظهر على الجوارح ممتثلة بما جاء به، ومتّبعة لأخلاقه وآدابه ولشرعه وأوامره، ومؤدّية لما له من الحقّ والتّكريم، فيكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضي الله ورسوله، ويَسخطُ لما يسخط الله ورسوله. وهذا محكّ الاختبار، وبرهان الإسلام والإيمان.

من الأخلاق المحمّديّة: لا تُقَلِّدْ غَيرَكَ تقليدًا أعمى

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن أسماء الله تعالى "**البصير النّور البديع**".

والتّخلُّقُ باسم الله "البصير" هو بأن تكونَ على بصيرَةٍ مِن أَمْرِكَ لا تُقلِّدُ غَيرَكَ تقليدًا أعمى، بل كُلُّ قرارٍ تَأخُذُه تَبنيه على بَصيرَةٍ وَدِراسَةٍ وَدِرايَةٍ وَلَيسَ تقليدًا لِغَيْرِكَ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبيّنا ﷺ، حديث رقم: ٢٢٧٨.

والتَّخَلُّقُ باسم الله تعالى "النّور" هو بأن تستنيرَ بنورِ العِلْمِ وَنورِ العَقلِ وَنورِ القُرآنِ في جميعِ مُعتَقَداتِكَ وقراراتِكَ. قال ﷺ «لا تكونوا إمَّعَةً، تقولونَ: إنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَحْسَنّا، وَإنْ ظَلَموا ظَلَمْنا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَنْ تُحْسِنوا، وَإنْ أَساؤُوا فَلا تَظْلِموا».[1]

والتَّخلُّق باسم الله تعالى "البديع": هو أن تبحث عن الكنوز التي اختصّك الله تعالى بها، ولا تقلِّد غيرك، ولا تكن إمّعة بحيث تقلّد الآخرين، لأنّ أغبى الناس هكذا يفعلون.

- هل من الصّدفة أن يكونَ لكلّ إنسان في هذا العالم الفسيح بصمةٌ خاصّةٌ به، لا يمكن أن تُقلَّد؟ ولا يمكن أن تُنسخ، ولا يمكن أن تُزوَّر، وكأنّ الرّسالة منها هي أن يكونَ لكلّ إنسان فكرُهُ الخاصّ، وشعورُهُ الخاصّ، وشخصيّتُه الخاصّة، وبذلك يتنوّعُ المجتمع وَيَنهَضُ. فالاختلاف وليس الخِلافُ قيمة اجتماعيّة عظيمة، ولو أدركنا كُنهها ومعناها لما قلدّنا كلّ من حولنا مكرهين في أكثر الأحيان.
- الإسلامُ هو الدّينُ الوحيدُ الّذي تُلائِمُ مبادِئُهُ جميعَ الأفراد والمُجتمعاتِ الإنسانيّةِ في سائرِ الأمكنَةِ وعمومِ الأزمنَةِ. وينسجمُ في جميعِ الأمورِ والقضايا مع واقعيّةِ العقلِ والبرهانِ والمَنطقِ لنعيشَ حياتَنا بسعادةٍ وطمأنينةٍ. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴾[2].
- فإذا أردتَ النّجاة والسّعادة، فاتّبع القواعدَ الّتي بَيَّنَها الله تعالى وأحصاها في كتابٍ واحدٍ: القرآن الكريم. قالَ خالقُ السّماواتِ والأرضِ عن النّبيّ ﷺ: ﴿فَاتَّبِعونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[3]. أفلا نتَّخذُهُ القدوةَ والمرجع لنا في أمورِ دينِنا ودنيانا، واتّباعه ﷺ سبب لحبّ الله تعالى لنا؟

فقد اكتملت عنده المزايا، وهو المعلّمُ الأغنى أسلوبًا، التّاجرُ الأصدقُ حديثًا والأكثرُ وفاءً لوعدِه، القائدُ الأكثرُ حِكمةً، الزّوجُ الأكثرُ خيرًا لأهلِهِ، الأبُ الأكبرُ قلبًا وأعظمُه حبًّا وحنانًا. كانَ مرِحًا ويحبّ المزاح ولكن بدون كذبٍ أو أذيّةِ أحدٍ، ومزاياه العظيمةُ لا تنتهي.

فاجْعَلِ الله تعالى ورسولَه ﷺ مرجعَكَ في كلّ قرارٍ وخيار، وفي كلّ معلومةٍ أو علمٍ تأخذُه عن أيّ إنسان.

- في تربيةِ الأبناءِ، الطّفلُ الصّغيرُ أكثرُ تأثّرًا من البالغ الرّاشد. وهذا لأنَّ معلوماتِه وَخُبُراتِه قليلةٌ، لذا إن أراد أَن يقلّدَ، فَلْيَكُنِ الوالدانِ قدوةً حسنةً، لأنّهما بتصرفاتهما أمامه يبنيان القِيَمَ والأخلاقَ والمفاهيمَ لديه. وعلى الآباء والأمّهات التّنبّهُ لكلّ ما يراه الأبناءُ على شاشةِ التّلفاز أو الإنترنت وإرشاده لما يصحّ أو لا يصحّ ممّا يراه. فكلُّ ما يشاهدُهُ الولدُ يَرسَخُ في عقلِه طويلًا، وينتهي بِهِ بتقليدِه تقليدًا أعمى، فيتعطّلَ عنده مبدأُ التّفكيرِ السّليمِ والتّمييز بين الحقّ والباطل، ويصبحَ شيئًا فشيئًا مُستهلِكًا مُبرمِجًا لقبولِ كلِّ ما يُقدَّمُ له، فإنّ "الخطأَ يبقى خَطأً ولَوْ فَعَلَهُ كُلُّ النّاسِ، والصّوابَ يبقى صوابًا ولو فَعَلَهُ القليلُ من النّاس.

الحكمة: عَلِم أنّ العباد يتشوّقون إلى ظهور سرّ العناية، فقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[4].

---

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن حذيفة، ٢٥- أبواب البرّ والصّلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم: ٢٠٠٧، الحديث حسن غريب.
(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

شعار الإسلام: الأذان

نِداء نسمعه كلَّ يوم خمسَ مرَّات، مُعْلِمًا بدخول وقت الصّلاة المفروضة؛ إنَّه صوت الحقّ، وعنوان التّوحيد، وشعار الإسلام، إنَّه "الأذان".

هذا النِّداء له أهمّيَّة عظيمة في دِين الإسلام، فهو علامةٌ بارزة للتّفريق بيْن دار الكُفر ودار الإسلام؛ لذلك فقد أحببتُ أن نقِف وقفاتٍ سريعةً حول هذا الموضوع، والله نسأل أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعُنا.

كان المسلمون يصلّون خفية في شعاب مكّة وقت الضّعف والاضطهاد، أما وقد قامت دولتهم في المدينة فليجهروا بالأذان والإقامة، وليركعوا مع الرّاكعين...

فبعد هجرة الحبيب ﷺ إلى المدينة واستقراره بها، بنى مسجده المبارك، واجتمع شمل المهاجرين والأنصار، وارتفع لواء الإسلام، وأصبح المسلمون يجتمعون في المسجد للصّلاة، وكانوا يأتون وقت الصّلاة بدون إعلام فيصلّون وينصرفون.

تشاور رسول الله ﷺ مع أصحابه لإيجاد شيء يُعْلِم النّاس بدخول الوقت لأداء الصّلاة.

فعن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: "اهْتَمَّ النّبيّ ﷺ للصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصّلاة فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ - يَعْنِي الشَّبُّورَ وَقَالَ زِيَادٌ: شَبُّورُ الْيَهُودِ- وهو ما يُنفخ به لإحداث الصوت - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ»قَالَ: فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى»فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، قَالَ: فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ، قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ النّبيّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟» فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ»قَالَ: فَأَذَّنَ بِلَالٌ"[1].

وكان بلال بن رباح ﷺ أحد مؤذني رسول الله ﷺ بالمدينة، والآخر عبد الله بن أم مكتوم ﷺ وكان بلال يقول في أذان الصّبح بعد حيّ على الفلاح: الصّلاة خير من النّوم (مرّتين)، فأقرّه الرسول ﷺ على ذلك[2].

وكان يؤذّن في البداية من مكان مرتفع، ثمّ استحدثت المنارة (المئذنة) بعد ذلك. فكان أذان الصّلاة (الله أكبر، الله أكبر) شعارًا لأوّل دولة إسلاميّة...

هذه هي قصّة الأذان الذي ينطلق به صوت المؤذّن خمس مرات في اليوم والليلة في أرجاء الدّنيا كلّها، "لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلا إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[3]، كما أخبرنا بذلك النّبيّ ﷺ.

وفي هذا الحدث من أحداث السّيرة النّبويّة عِبَر كثيرة منها: أنّ رؤيا المؤمن صالحة وتحمل البشرى له ولمن رؤيت له، وهدي رسول الله ﷺ في مخالفة اليهود والنّصارى ومشروعيّة ذلك، وبيان أنّ المؤذّن صاحب الصّوت النّديّ أولى بالأذان من غيره، وفي فضل بلال ﷺ أنّه أوّل مؤذّن في الإسلام.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، عن أبو عمير بن أنس عن عمومة له، كتاب: الصّلاة، باب: بدء الأذان، حديث رقم: ٤٩٨، الحديث إسناده صحيح.

(٢) ذكره الباجوريّ في نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين، باب: بدء الأذان، (٨٤/١- ٨٥). ولمزيد من المعرفة الرجوع إلى كتب السنة والسيرة.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب: الأذان، باب: رفع الصوت بالنداء، حديث رقم: ٦٠٩.

في السّلوك

الإشارة: حسنُ الخطاب من تمام الآداب، وتمام الآداب هو السّبب الموصل إلى عين الصّواب، فمن لا أدب له لا تربية له، ومن لا تربية له لا سَيْر له، ومن لا سير له لا وصول له، فمن لا يتربّى على أيدي الرّجال لا يُربّي الرجال، وقد قالوا: من أساء الأدب مع الأحباب طُرد إلى الباب، ومن أساء الأدب في الباب طرد إلى سياسة الدّواب. وقالوا أيضًا: اجعل عَمَلك مِلْحًا وأدبك دقيقًا. وقال آخر: إنّ الإنسان ليبلغ بالخلق وحسن الأدب إلى عظيم الدّرجات وهو قليل العمل، ومن حُرم الأدب حُرم الخيرَ كلّه، ومن أُعطي الأدب فقد مُكّن من مفاتيح القلوب.

في الآية (١٠٤) تنبيهان: أحدهما: أنّ من كان يحسد أهل الخصوصيّة وينكر عليهم فيه نزعة يهوديّة. وخصلة من خصال المشركين، والثّاني: أنّ حسد أهل الخصوصيّة والإنكار عليهم أمر شائع وسنّة ماضية، فليوطّن المريد نفسه على ذلك، وليعلم أنّه ما يقال له إلا ما قيل لمن قبله، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾[1]، وما من نعمة إلّا وعليها حسود.

كراهية الأعداء لانتظام صلاح الأولياء متصِلَةٌ مُستَدامةٌ، ولكنّ الحسود لا يسود ولا يحصُل له مقصود.

في الإعجاز العلميّ

لماذا نحاول أن نرضيَ غيرَنا على حسابِ أنفسِنا وتربيتِنا وثقافتِنا وأهدافِنا الّتي لطالما رسمناها لنحقّقها؟ وإذ بنا نرى أنّنا نحقّق ما لا يُعجبُنا، ونعملُ ما لا يحلو لنا، ذلك لأنّنا نريدُ أن نشعر أنّنا مقبولون في مجتمعنا فنسيرَ بالنّهجِ المرسومِ. ولكن إذا فكّرنا بعمقٍ وجَدْنا أنّنا بذلك قد نعيشُ بعيدًا عن ديننا أو أعرافنا أو فكرِنا الفريد أو ذوقنا الشّخصيّ. أليس من الأجدى أن نقفَ برهةً لنقوّمَ اعوجاجَ رؤيتنا فلا نسمح لأفكار الآخرين وآرائهم إن كانت لا تتوافق مع ديننا أن تحيد بنا عن الحقّ؟!

قال رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»[2].

والضَّبُّ: حَيوانٌ جُحرُه شَديدُ الظُّلْمةِ نَتِنُ الرّيحِ، وهو مِن الزَّواحفِ يَكثُرُ في الصَّحارِي العَربيَّةِ، وَوجْهُ التَّخصيصِ بجُحرِ الضَّبِّ: شِدَّةُ ضِيقِه ورَداءَتُه، ومع ذلك فإنَّهم -لاقتِفائهم آثارَهم واتّباعِهم طَرائقَهم- لو دَخلوا في مِثلِ هذا الضِّيقِ الرَّديءِ لَوافَقوهم في حقوله.

وفي هذا الحديثِ مُعجزةٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ؛ فقدْ وقَعَ ما أخبَرَ به النّبيّ ﷺ، وانتشَرَ ذلك في الأزمنةِ المتأخّرةِ؛ مِن اتّباعِ كَثيرٍ مِن المُسلِمينَ لأعداءِ اللهِ تعالَى في عاداتِهم وتَقاليدِهم وسُلوكيّاتِهم، فقلَّدوهم في مَلابِسِهم وطريقة أكلهم وشَعائرِهم والأخطر من ذلك في حكمهم على الحسن والقبيح كالشّذوذ وغيره وكيفية التّعامل معه، وقلَّدوهم في أعيادِهم، وفيما هم عليه مِن أخلاقٍ ذَميمةٍ، وعاداتٍ فاسدةٍ تُخالِفُ شَريعةَ الإسلامِ المُطهَّرةَ كمعاملة الأولاد لوالديهم ومعاملة الزّوجة لزوجها، وكان ذلك نَتيجةً لغَلَبةِ الكفّارِ، والمغلوبُ مُولَعٌ بتقليدِ الغالِبِ، ومِثالُ ذلك ما يُشاهَدُ في بِلادِ المسلِمينَ.

حرب المصطلحات: روّج البعض لمصطلحات جديدة لبعض المفاهيم، وذلك لطمس الحقائق أو لجعل بعض الأمور

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النّبيّ ﷺ: "لتتبعنّ سنن من..."، حديث رقم: ٧٣٢٠.

المستقبحة أخف وطئةً على السامع. ومن أمثلة محاولة طمس الحقيقة، الترويج لمصطلح الحجاب بدلاً من الخمار، ليأتي زمان يدّعي فيه بعض الدعاة المأجورين أن لبس الخمار ليس فرضاً حيث إنّ كلمة الحجاب لم ترد في القرآن الكريم إلّا في حقّ نساء النّبيّ ﷺ. ومن أمثلة تخفيف وقع قباحة الأمر الترويج لمصطلح المشروبات الروحيّة بدل الكحولية، أو المثليّة بدل الشّذوذ.

حرب الشّعارات وأهمّيّة الشّعار في الإسلام: اعتنى الإسلام باتّخاذ شعارات تدلّ على قوة حضوره في البلاد والقلوب، ومنها المئذنة والقبّة التي تميّز المساجد عن باقي مباني البلدة، وصوت الأذان، والرّاية التي كان يرفعها المسلمون في الحروب وما إلى ذلك؛ ومن الشعارات التي يروّج لها الغرب والقصد منها محاربة المفاهيم الإسلامية، شعار تحرير المرأة مثلاً، والهدف منه تحريرها من عبوديّة الله تعالى أو من القيم الإسلاميّة تحت غطاء تحريرها الفكريّ، أو شعار المطالبة بحقوق الطّفل، والمقصود منه تحريره من التزام طاعة والديه، وما إلى ذلك.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- **حزبُ الخلْوة للإمام أبي الحَسَن الشّاذلي:**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ، يا اللهُ، يا مَنّانُ، يا كَريمُ، يا ذا الفَضْلِ العَظيمِ، مَنْ لِهَذا العَبْدِ العاصي غَيْرُكَ، وَقَدْ عَجَزَ عَنِ النُّهوضِ إلى مَرْضاتِكَ، وَقَطَعَتْهُ الشَّهْوَةُ عَنِ الدُّخولِ في طاعَتِكَ، وَلَمْ يَبْقَ حَبْلٌ يَتَمَسَّكُ بِهِ سِوى تَوْحيدِكَ، وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ عَلى السُّؤالِ مَنْ هُوَ مُعْرِضٌ عَنْكَ، أَمْ كَيْفَ لا يَسْأَلُ مَنْ هُوَ مُحْتاجٌ إِلَيْكَ، وَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ الآنَ بِالسُّؤالِ مِنْكَ، وَجَعَلْتُ حَسْبِيَ الرَّجاءَ فيكَ، فَلا تَرُدَّني خائِبًا مِنْ رَحْمَتِكَ يا كَريمُ، وَقَدْ جَعَلْتَ لأَسْمائِكَ حُرْمَةً فَمَنْ دَعاكَ بِها لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا أَجَبْتَهُ، فَبِحُرْمَةِ أَسْمائِكَ يا اللهُ، يا مالِكُ، يا قُدّوسُ، يا سَلامُ، يا مُؤْمِنُ، يا مُهَيْمِنُ، يا عَزيزُ، يا جَبّارُ، يا خالِقُ، يا بارِئُ، يا مُصَوِّرُ، قِني مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والشَّكِ وسوءِ الظَّنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَتِهِ وَقَهْرِ الرِّجالِ، فَإِنَّهُ لَكَ الأَسْماءُ الحُسْنى، وقَدْ سَبَّحَ لَكَ ما في السَّماواتِ وَما في الأَرْضِ، وَأَنْتَ العَزيزُ الحَكيمُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْراتِ الدُّنْيا وخَيْراتِ الدّينِ، خَيْراتِ الدُّنْيا بِالأَمْنِ والرِّفْقِ والصِّحَّةِ والعافِيَةِ، وخَيْراتِ الدّينِ بالطّاعَةِ لَكَ، والتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، والرِّضا بِقَضائِكَ، والشُّكْرِ عَلى آلائِكَ وَنِعَمِكَ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

- **دُعاءٌ جامِعٌ للإمامِ الرِّفاعي:**

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمامَها، ومن العِصْمَةِ دوامَها، وَمِنَ الرَّحْمَةِ شُمولَها، وَمِنَ العافِيَةِ حُصُولَها، وَمِنَ العَيْشِ أَرْغَدَهُ، وَمِنَ العُمُرِ أَسْعَدَهُ، وَمِنَ الإِحسانِ أَتَمَّهُ، وَمِنَ الإِنْعامِ أَعَمَّهُ، وَمِنَ الفَضْلِ أَعذَبَهُ، وَمِنَ اللُّطْفِ أَنْفَعَهُ، اللَّهُمَّ كُنْ لنا ولا تَكُنْ عَلَيْنا، اللَّهُمَّ اخْتِمْ بالسَّعادَةِ آجالَنا، وحقِّقْ بالزِّيادَةِ آمالَنا، واقْرِنْ بالْعافِيَةِ غُدُوَّنا وآصالَنا، واجْعَلْ إلى رَحْمَتِكَ مَصيرَنا وَمَآلَنا، واصْبُبْ سِجالَ عَفْوِكَ عَلى ذُنوبِنا، وَمُنَّ عَلَيْنا بِإِصْلاحِ عُيوبِنا، واجْعَلِ التَّقْوى زادَنا، وفي دينِكَ اجْتِهادَنا، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنا واعْتِمادَنا، وَإِلى رِضْوانِكَ مَعادَنا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنا عَلى نَهْجِ الاسْتِقامَةِ، وأَعِذْنا في الدُّنْيا مِنْ موجِباتِ النَّدامَةِ يَوْمَ القِيامَةِ، اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنّا ثِقَلَ الأَوْزارِ، وارْزُقْنا عيشَةَ الأَبْرارِ، واكْفِنا واصْرِفْ عَنّا شَرَّ الأَشْرارِ، واعْتِقْ رِقابَنا ورِقابَ آبائِنا وأُمَّهاتِنا وإِخْوانَنا مِنَ النّارِ، يا عَزيزُ يا غَفّارُ، يا كَريمُ يا سَتّارُ، يا حَليمُ يا جَبّارُ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ.